رحلة علماء البحرين إلى الحلة وآثارها الثقافية
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين

وسام عباس السبع
باحث من مملكة البحرين

الملخص

ترمي هذه الدراسة إلى رَصدِ العلاقات العلمية بين البحرين والحلة في المدة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين عن طريق الرحلة العلمية لعلماء البحرين وانعكاساتها ونتائجها الثقافية وسبل التبادل العلمي والعوامل المؤثرة في العلاقة العلمية التي جمعت بين البلدين والتأثيرات المتبادلة بين مدرستي الحلة والبحرين في العلوم.

وقد تناولت في الدراسة أيضًا مظاهرَ العلاقات العلمية بين الحلة والبحرين، مستعرضًا بشيء من التوسع ظاهرة الهجرة العلمية عند علماء البحرين إلى مدينة الحلة، وجهودهم العلمية فيها، وتوقَّفتُ سريعاً عند ظاهرة تبادل الإجازات العلمية بين علماء البحرين والحلة، وإلى مصاديق تفاعل علماء البحرين مع التراث العلمي لمدرسة الحلة ولا سيَّما في المجال الفقهيّ.

The Travel of Bahraini Scholars between the Sixth and Ninth Centuries A H to Al-Hilla and its Cultural Antiquities

by Wisam Abbas As-Sabi'

The present paper aims at observing the scholarly relations between Bahrain and Al-Hilla in the period between the sixth century and the ninth century A H through the scholarly travel of Bahraini scholars. It also aims at studying the cultural reflections of this travel, its results, the means of scholarly exchange between the two schools, the influencing factors on their scholarly relations, which merged the two countries, and finally the mutual impacts between the two scholarly schools: Al-Hilla and Bahrain.

Furthermore, it tackles the aspects of scholarly relations between Al-Hilla and Bahrain, surveying in some detail the phenomenon of the scholarly immigration of Bahraini scholars to Al-Hilla and their scholarly efforts. We also concentrate on the phenomenon of exchanging scholarly authorization between the scholars of Bahrain and Al-Hilla, and the indications of the interaction of Bahraini scholars with the scholarly heritage of Al-Hilla School, especially in the field of jurisprudence.

تقديمُ:

ارتبط تاريخ الحلة العلمي والأدبي بالأمير الرابع من أمراء الإمارة المزيدية الشيعية في العراق سيف الدين صدقة بن منصور المزيدي (ت٥٠١هـ/ ١١٠٨م) والتي أسسها جدّه الأعلى الأمير أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي (ت٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) بعد أن ارتحل إليها بعساكره من جنوب العراق واتخذها مركزًا لإمارته.

ومنذ ذلك الحين، قُدّر للحلة أن تؤدّي أدوارًا فكرية وأدبية وأن ترسخ اسمها بين كبرى المدن والحواضر العلمية في العالم الإسلامي، واستطاعت أن تجتذب لها رجال العلم والفكر والأدب من أصقاع مختلفة.

وإذا كانت مدرسة الحلة قد حظيت بنصيب يليق بأهميتها التاريخية والعلمية بلحاظ تأثيرها الطاغي في العالمين العربي والإسلامي منذ تأسيسها في القرن الخامس الهجري، فإن البحرين (أوال) - بحدودها الحالية - لم يتوفر لها اهتمام مماثل من قبل الباحثين والدارسين، من هنا قد يتحقق من إثارة (موضوع الدراسة) شيء من إعادة الاعتبار لمدرسة البحرين العلمية والتنبيه على أهمية مساهمات علمائها الكمّي والكيفي في رفد الفكر والتراث الإسلامي بالعطاءات المتنوعة في إطار التفاعل العلمي المثمر بين البلاد العربية والإسلامية وشعوبها.

يُزاد على ذلك التنبيه على ما ترتب على العلاقة العلمية التي ربطت البحرين ببلاد الرافدين في هذه المدة الذهبية التي برزت فيها الحلة كمركز علمي مرموق في العالم الإسلامي في النطاق الشيعي، حيث استمرت النهضة العلمية فيها بدءًا من القرن الخامس للهجرة وتواصلت حتى أوائل القرن العاشر

لتنتقل الحركة العلمية إلى كربلاء ومن ثَمَّ إلى النجف الأشرف، وعليه سنحاول فَهْمَ أسباب هذه الانتقالات وظروفها، وسنتوقف في الدراسة عند ركائز نشوء العلاقات العلمية بين البحرين والحلّة والعوامل المؤثرة فيها.

وسندرس أيضًا مظاهر العلاقات العلمية بين الحلة والبحرين، مستعرضين بشيء من التوسع ظاهرة الهجرة العلمية عند علماء البحرين إلى مدينة الحلة، وجهودهم العلمية فيها، وسنتوقف سريعًا عند ظاهرة تبادل الإجازات العلمية بين علماء البحرين والحلة، وإلى مصاديق تفاعل علماء البحرين مع التراث العلمي لمدرسة الحلة، ولاسيَّما في المجال الفقهي.

ركائز نشوء العلاقات العلمية بين البحرين والحلّة

استند ميراث التواصل الثقافي والتبادل العلمي بين البحرين والعراق في ظل حضارة الإسلام على جملة من الركائز والمشتركات أبرزها:

أولًا: الناظم الديني:

تتمتع الحلة من بين سائر مدن العراق بمزايا فريدة، فهي من الناحية التاريخية مجاورة لبابل ذات الحضارة العريقة في التاريخ والتي انعكست آثارها على أهل إقليم بابل.

ولقد شكّل الدين الإسلامي منطلقًا ومحركًا لدى شعوب المنطقة في الهجرة لطلب العلم وتحصيله، وتكبد عناء ومشقة الترحّل في سبيله، من هناك نشأت ظاهرة الهجرة العلمية التي شهدتها المجتمعات المسلمة في عصورها المتوالية، واحتلّت بعض المدن في العالم الإسلامي موقع الصدارة في الحركة الفكرية والتّعليمية في القرن الرّابع والخامس من الهجرة مثل: نيسابور، وهمدان، وأصبهان، والرّي، ومرو، وبلخ،

وقزوين[1]، وبلاد الشام، والحجاز (مكة والمدينة)، والعراق (البصرة والكوفة وبغداد) ومصر[2].

ولقد ساعد العامل الديني في نسف الحواجز الجغرافية بين شعوب المنطقة، ودفع بالعلماء وطلاب العلم إلى تحدّي الصعاب، ومجابهة الظروف القاسية وتحمل المعاناة في سبيل طلب العلم، وكان علماء البحرين ـ على ما سوف نرى ـ من العلماء الذين شدّوا الرحال وسعوا في مناكب الأرض وقصدوا البلدان البعيدة ومنها الحلة في سبيل هذه الغاية النبيلة.

ثانيًا: الناظم الجغرافي:

من الناحية الجغرافية ساهم موقع الحلة على نهر الفرات في وسط العراق في جعلها ممرًا مهمًا للتبادل التجاري بين مدنه المحيطة بها من كل جهة، هذا فضلًا عمَّا امتازت به من خصوبة تربتها ونقاء هوائها واعتدال مناخها، وقد كساها الفرات حلّة خضراء أحاطت بها كما يحيط السوار بالعصم، ولهذا سُميت بالحلة الفيحاء.

في المقابل، ساهم هذا التراصف الجغرافي بين العراق وشبه الجزيرة العربية في حدوث هجرة معاكسة لأبناء العراق إلى بلدان شبه الجزيرة ومنها الى بلدان حوض الخليج العربي الأخرى.

ثالثًا: الناظم المذهبي:

فقد امتازت الحلة من الناحية الدينية بقربها من مراقد أهل البيت عليهم السلام وأولادهم وأحفادهم في كربلاء والنجف والكوفة وبغداد وجنوب الحلة، مع قربها من بعض مراقد الأنبياء عليهم السلام ومقاماتهم.

ويشير ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) إلى الحلة في إحدى زياراته لها سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م قائلًا: «وأهل هذه المدينة كلّها إماميّة اثنا عشريّة، وهم طائفتان إحداهما تعرف بالأكراد والأخرى تعرف

بأهل الجامعين»[٣]. كما يشير محمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) إلى تشيع أهل الحلة بقوله: «وقد كانت قديمة التشيع، وخرج من علمائها الكثير من الفحول، ومزاراتهم هناك مشهورة»[٤].

وحيث إن أهل البحرين يعتنقون المذهب الشيعي الإمامي منذ أمدٍ بعيد؛ فقد نصّ أحد مؤرخي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وهو ابن المجاور البغدادي النيسابوري (حيًّا ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) على أنّ جزيرة أوال «كان بها ٣٦٠ قرية إمامية المذهب ما خلا قرية واحدة»[٥].

وقال ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) في القرن السّابع عن البحارنة: «وأهل البحرين بالقرب منهم أهل عُمان من الخوارج بضدّهم كُلّهم روافض سبئيون، لا يكتمونه ولا يتحاشونه، وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريبًا»[٦].

بواعث النهضة العلمية في الحلة

من الناحية العلمية أخذت الحلة تؤدي دورًا متناميًا، وتدفق العلماء إلى بلاد بني مزيد بعد أن هاجر الشيخ الطوسي إليها عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م عقب فتنة طائفية اندلعت بين السنة والشيعة، وهو ما دفع الشيخ الطوسي[٧] إلى الذهاب إلى النجف ليستقر بها، فأخذ علماء الشيعة يجتمعون حوله من كل مكان ولما صارت الحلة مدينة مستقرة، أخذ علماء النجف يرحلون إليها طلبًا للرعاية والحماية من أمراء بني مزيد.

وتزامنت الحركة العلمية والفكرية في مدينة الحلة مع بنائها وتخطيطها عام ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م على يد مؤسسها سيف الدولة صدقة بن مزيد الأسدي في منطقة الجامعين، حيث كان آباؤه يسكنون فيها، فأصبحت مدينة الحلة في عهده مركزًا علميًا وفكريًا، وبرزت فيها

مظاهر النهضة منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وبلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري، وتزامن نشوئها العلمي مع بلوغ مدرسة النجف الأشرف موقعًا متقدمًا في العلوم الإسلامية.

وكان للعاملين السياسي والإداري الدور الأكبر في تطور مدينة الحلة اجتماعيًّا، وازدهار الحركة العلمية فيها، إذ كان للمزيديين اهتمام بالعلم والعلماء مما ساعد على هجرة رجال العلم والفكر إلى مدينة الحلة، فضلًا عن أن بعض أبناء الأسرة المزيدية من رواد العلم[٨].

وأصبحت الحلة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي من أبرز المُدن، لكثرة من برز فيها من العلماء كمًّا وكيفًا.

ونظرًا لشهرتها ومكانتها العلمية المتقدمة، فقد قصدها طلبة العلم من كل مكان، وكان من أبرز من قصدها: الخواجة نصير الدين الطوسي[٩]، ومحمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م)[١٠]، والمحدّث الشهير صدر الدين إبراهيم بن محمد الجويني الشافعي (ت٧٢٢هـ /١٣٢٢م)[١١].

ثم نمت الحركة العلمية في الحلة شيئًا فشيئًا وذاع صيتها في جميع الأمصار، وانتقلت بوقت مبكر من تأسيسها أكثر مكتبات بغداد إلى الحلة، لاضطرار أصحاب المكتبات في بغداد إلى مقايضة تجار الحلة بالمواد الغذائية مقابل كتبهم على أثر الهجمة المغولية على بغداد، فلاقى ذلك تشجيعًا عظيمًا من علماء الحلة حتى كان لهم أكبر الأثر في انتشال التراث الإسلامي من همجية السلاجقة وجهل المغول.

وهكذا استقطبت الحلة بعلمائها الكبار كابن إدريس

الحلـي (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م)، ومن بعده المحقـق (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، ثـم العلامـة (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) الحليـين وعشـرات مـن الفقهـاء والأدباء والعلمـاء وطلاب الحوزات الشـيعية في العراق وإيـران ولبنان والبحرين وغيرها.

والمتتبـع فـي إجـازات العلماء سـيلاحظ أصـداء تلـك الحركة العلميـة والأدبيـة في الحلـة آنذاك عن طريق كثرة من اسـتجاز علماء الحلة من تلك الأمصار الإسلامية.

رحلة علماء البحرين إلى الحلة

نتيجة للوضع العلمي النشط الذي عرفته الحلة، لم يكن من المستغرب أن تكثـر ظاهـرة الرحلـة العلمية إليهـا، وكان علمـاء البحريـن في طليعة الذين وفـدوا على هذه المدينة للإفـادةِ من نهضتها العلمية وما لبث أن شـارك علماء البحرين في إرساء دعائم هذه النهضة كما سنلاحظ.

ولاشك في أن للعامل الديني دورًا كبيرًا في دفع المسلمين للانصراف إلى العلم والرحلة في طلبه؛ إذ أكد القـرآن الكريم ذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١٢].

وقد عرف علماء البحرين الرحلة بأنواعهـا ودوافعها المختلفة كرحلة الحج، والرحـلات التجارية، فضلًا عن الرحلـة العلمية التي سـنركز عليهـا بشـكل خـاص فـي هـذه الدراسة بوصفها مظهرًا من مظاهر العلاقة العلمية التي ربطت البحرين بالحلة.

وارتبطت وجهات الرحلة العلمية عند علمـاء البحرين بتعدد مراكز العلـم فـي العالـم الإسـلامي، إذْ نلاحـظ أن مدارس الفقه الشـيعي حسـب توالي عصور الفقه الشيعي

هي: مدرسة المدينة المنورة التي استمرت إلى أواسط القرن الثاني في حياة الإمام الصادق عليه السلام، ومدرسة الكوفة التي ظهرت من أواسط القرن الثاني في حياة الإمام الصادق عليه السلام واستمرت إلى الربع الأول من القرن الرابع تزامنًا مع بداية الغيبة الكبرى.

وارتبطت هجرة علماء البحرين بمستوى ما كانت تعيشه هذه الحواضر العلمية من تقدم، وهذا شكّل عاملًا من عوامل الجذب لعلماء البحرين وغيرهم، وقد عدّت دراسة حديثة عددًا من علماء البحرين حليين، نظرًا لمساهماتهم العلمية ونشاطهم الفكري واستقرارهم الطويل فيها، حيث تردد بعضهم عليها ودرسوا ودرَّسُوا، «وأصبح لديهم تلاميذ قصدوهم وسمعوا منهم، وألَّفوا المصنفات فيها، فضلًا عن أنَّ بعضَهم نُسِبَ إليها، وصار يُطلق عليهِ (الحلي)، مثل الحسن بن راشد الحلي مع أنه بحراني وغيره، مثل الأحسائي الحلي، والحلبي الحلي، لذلك يمكن عدّهم من علماء الحلة»[١٣].

ومن أبرز علماء البحرين الذين هاجروا إلى الحلة ونشطوا في حركتها العلمية ما سنذكره منهم حسب وفياتهم على النحو الآتي:

١. أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني (ق ٧):

العالم العامل الشيخ المحقق المتكلم، وهو أستاذ الشيخ الحكيم الفيلسوف الشيخ جمال الدّين علي بن سليمان البحراني، ويعد من الرعيل الأول من علماء البحرين الذين قصدوا الحلة وأخذوا على علمائها علوم الفقه والحديث، فهو يروي عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن محمد بن يحيى السوراوي، وهذا يروي عن الشيخ الفقيه الحسين بن هبة الدين بن رطبة[١٤] السوراوي، والأخير من فقهاء الإمامية في الحلة

في القرن السادس، ومن كبار المشايخ الأجلاء وكان تلميذًا عند الشيخ أبي علي الطوسي[١٥]. وقبر ابن سعادة البحراني في قرية سترة من البحرين بالقرب من قبر تلميذه الشيخ جمال الدّين علي بن سليمان.

ولابن سعادة من المصنفات: «رسالة في العلم» شرحها نصير الدّين الطُوسي[١٦]، وهي رسالة جيدة تشعر بفضل غزير، وقد أثنى عليه الخواجة في ديباجة شرحه[١٧].

٢. علي بن سليمان البحراني (ق ٧):

هو عالم جليل وفيلسوف حكيم، أثنى عليه العلاّمة الحلّي في رسالته التي أفردها مع إجازته لأولاد زهرة، وذكر أنه عارف بقواعد الحكماء، وأنه يروي عنه بواسطة ولده الشيخ حسين[١٨]، وأثنى عليه كمال الدّين الشيخ ميثم بن المعلى في بعض مصنّفاته، وابن أبي جمهور الأحسائي، وهو أستاذ الشيخ ميثم البحراني[١٩]، والذي يبدو أن ابن ميثم أخذ أغلب علومه من أستاذه هذا، حتى إنَّ ابنَ الفوطي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) لم يذكر سواه عندما سأله عن مشايخه عند مقدمه إلى بغداد[٢٠]. وقبره في قرية (ستره) من البحرين.

قال عنه العلامة في إجازته الكبيرة: «وهذا الشيخ كان عالمًا بالعلوم العقلية، عارفًا بقواعد الحكماء، له مصنفات حسنة»[٢١].

ومن مصنّفاته في الحكمة كتاب «الإشارات»، ومنها: «رسالة الطير» شرح أبيات الشيخ علي بن سينا في وصف الروح[٢٢]. وقد ذكره وأثنى عليه كل من تأخر.

٣. كمال الدّين ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م):

هو كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، من أكبر رجالات الإمامية في القرن السّابع الهجري، اشتهر بالفلسفة والكلام والعرفان

وجميع نواحي الثقافة الإسلامية، رحل إلى الحلة بناء على دعوة من علمائها للاستفادة من علومه. وله العديد من التصانيف منها «شرح نهج البلاغة» الذي صنّفه للصاحب عطا ملك الجويني، وكتاب «القواعد في علم الكلام»[٢٣].

وصفه الماحوزي بـ«الفيلسوف الحكيم»، ومن تلامذته الذين يروون عنه العلاّمة الحلّي والسيد ابن طاوُس، وسعيد الدّين محمد ابن جهم الأسدي الحلّي. «والغريب في الأمر أن العلامة لم يذكر ابن ميثم البحراني في إجازته الكبيرة لبني زهرة مع كونه قد كتبها عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، أي بعد لقائه بابن ميثم. أما روايته عن علي بن سليمان فذكر لها طريقًا واحدًا هو طريق ابنه كمال الدين الحسين بن علي بن سليمان. وفي (شرح إحقاق الحق) أن العلامة قرأ على ابن ميثم العقليات، وروى عنه الحديث. والمظنون أن لقاءهما في الحلة بعد أن وردها ابن ميثم إبان مقامه في العراق»[٢٤].

وقد أفاد من الخواجة نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، وأفاد الطوسي منه. قال الشيخ سليمان الماحوزي: «رأيت في بعض الرسائل أنه تلمذ على المحقق الطوسي في الحكمة، وتلمذ عليه المحقق في العلوم الشرعية، ولم أستثبته»[٢٥].

وفي (خاتمة المستدرك) أنّ ابن ميثم يروي عن الخواجه[٢٦].

ووضع ابن ميثم كتبًا في مواضيع شتى، منها: «شروحه الثلاثة على نهج البلاغة»، و«كتاب القواعد» في علم الكلام وهو المُسمّى بقواعد المرام، و«رسالة في آداب البحث»، و«أصول البلاغة»[٢٧].

٤. الشيخ حسين بن علي البحراني الستري (ق ٧)

من الشخصيات التي وفدت الحلة من علماء البحرين الشيخ حسين بن علي بن سلمان البحراني

الستري، وهو فاضل جليل من مشايخ العلامة الحلي، ويروي عنه مصنفات أبيه علي بن سليمان[٢٨]، وذكره الأفندي في (الرياض) وقال: إنه من مشاهير العلماء والحكماء وسيأتي شطر من أحواله في ترجمة أبيه علي بن سليمان، ولكنه لم يذكر في ترجمة أبيه شيئًا من ذلك. وهو من مشايخ العلامة الحلي في الإجازة كما ذكره العلامة في إجازته وغيرهما[٢٩].

وتاريخ ولادته ووفاته ومكانها مجهول[٣٠]، ويرجَّح أنه توفي في أواخر المائة السابعة وأوائل الثامنة؛ لأنه كان معاصراً للنصير الطوسيّ والعلّامة الحليّ وميثم البحراني، ولم يُعرفْ أنه ترك مصنفاتٍ علميةٍ.

٥. أحمد بن فهد الأحسائي (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م):

هو الشيخ أحمد بن فهد ابن حسن بن أحمد بن إدريس الأحسائي[٣١]، من جلّة علماء الإمامية وفقهائهم[٣٢]، الذي وإن ولد في الأحساء ونشأ وترعرع فيها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلاد، إلَّا أنَّ ابنَ فهد الأحسائيّ يُمثِّل حلقةً من حلقات الوصل بين البحرين والأحساء والحلة، على ما سنُوضِّحهُ.

ويشترك معه بمشتركات عدة شخصية علمية أخرى، فالشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن حسن ابن إدريس الأحسائي، والشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الأسدي الحلي، كلاهما سُمِّيَ: الشيخ أحمد بن فهد، وكلاهما اشترك في الدرس على بعض المشايخ مثل: الشيخ فخر المحققين، والشيخ أحمد بن المتوّج البحراني، وكلاهما لديه كتاب بعنوان (شرح الإرشاد)[٣٣] وكلاهما متعاصران وسكنا الحلَّةَ[٣٤]، إلا أنَّ أحمدَ بنَ فهد بن إدريس الأحسائي شهرته «شهاب الدين»، واسم والده

حسن بن إدريس ويُسمَّى الأحسائي، وأحمد بن شمس الدين محمد بن فهد شهرته «زين الدين»، ويكنى بـ«أبي العباس»، فهو أحمد بن شمس الدين الأسدي الحلي[٣٥].

تُوُفِّيَ الشيخُ أحمدُ بنُ فهد بن إدريس الأحسائي في الحلة السيفية وقبره معروف فيها[٣٦]، أما الشيخ أحمد بن فهد الحلي فقد تُوُفِّيَ سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م وقبره معروف في كربلاء في بستان يعرف بـ«بستان ابن فهد الحلّي».

تلمّذ الشيخ أحمد بن فهد الأحسائي على مجموعة من العلماء، كان أهمهم الشيخ أحمد بن المتوج البحراني[٣٧]، حتى أصبح من أبرز تلاميذه وأحد الطلبة الذين أجازهم ابن المتوج البحراني[٣٨]، قرأ سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، على شيخه ابن المتوّج البحراني كتابه: «مختصر التذكرة»[٣٩]، وأجاز له قراءته بحسب السند[٤٠].

وروى عنه الشيخ ناصر بن المتوّج البحراني (حيًّا ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م)[٤١]، والشيخ جمال الدين حسن الجرواني الأحسائي الشهير بابن المطوّع[٤٢]، والشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي (حيًّا ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م).

قصد الشيخ أحمد بن إدريس الأحسائي الحلة السيفية بعد أن بدأ حياته العلمية في البحرين؛ إذ تلمذَ على يد ابن المتوج البحراني، وبعد مجيئه الحلة لم يغادرها حتى وفاته سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م[٤٣]، وقبره في الحلة[٤٤].

٦. إبراهيم بن منصور بن عشيرة البحراني (حيًّا ٨٠٩هـ/ ١٤٠٥م):

هو إبراهيم بن منصور بن علي بن عشيرة البحراني[٤٥]، ولد في جزيرة أوال (البحرين) وذهب إلى الجزائر، ثم توجه إلى الحلة طلبًا للعلم وزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء[٤٦]، كما وضّح ذلك في نهاية شرحه لألفية

الشهيد[٤٧] سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٥م[٤٨] بقوله: «فقيه إمامي... سكن الجزائر وزار العراق»[٤٩].

٧. أحمد بن عبدالله بن المتوج البحراني (ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م):

هو العلامة جمال الدين الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن محمد بن علي بن حسن بن المتوج البحراني[٥٠]، وصفه البحراني[٥١] بقوله: «فاضل مشهور، وعلمه وفضله وتقواه في كتب العلماء مذكور...»، قال عنه الحر العاملي[٥٢]: «عالم أديب عابد...».

ظل تأريخ ولادته مجهولاً، إلّا أنه وُلِدَ في البحرين ونشأ في أسرة علمية عريقة إذ كان أبوه عبد الله بن محمد أحد العلماء في البحرين، وكان يسمى بـ«ابن المتوج البحراني»، إلّا أنه كان صاحب الشهرة في هذا اللقب دون أبيه، ترعرع في البحرين وتلمّذ على أبيه وغيره من علماء البحرين، وصف الخوانساري[٥٣] والده عبد الله بقوله: «ووالده الشيخ عبد الله أيضًا من الفضلاء الفقهاء الأدباء الشعراء المجيدين الأجلَّة».

يُكنى المترجم له بكنًى متعددةٍ، منها «أبو ناصر» و«جمال الدين» أو «فخر الدين»، ولُقِّبَ بألقابٍ كثيرةٍ، منها :«خاتم المجهدين المنتشرة فتاواه في جميع العالمين، شيخ مشايخ الإسلام، وقدوة أهل النقض والإبرام»[٥٤].

ويبدو أن شهرة ابن المتوج عمّت مناطق واسعة فوصف بأنه :«عالم فاضل مفسر أديب شاعر عابد عالم رباني.. صاحب مؤلفات كثيرة»[٥٥].

وقيل فيه حقه بعض الإجازات.

تلمذ ابن المتوج البحراني على مجموعة من العلماء والفقهاء منهم والده عبد الله بن محمد بن المتوج البحراني[٥٦]، وابن العلامة الحلي الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف

ابن المطهر المعروف بفخر المحققين (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)[٥٧]، وأخذ على علماء الحلة واستجاز منهم ورجع إلى بلده جزيرة (أوال)[٥٨].

أما تلامذته فمنهم الشيخ أحمد ابن فهد بن إدريس الأحسائي (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)[٥٩]، والشيخ أحمد ابن فهد الأسدي الحلي (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)[٦٠]، وجمال الدين ناصر بن أحمد المتوج البحراني (حيا ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م)[٦١]، والشيخ فخر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله السبعي (حيًا ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)[٦٢].

بعد أن تلمذَ ابن المتوج على يد أبيهِ وبعضِ علماءِ البحرين تَوَجَّهَ إلى الحلة، التي دَرَسَ فيها على يد الشيخ فخر المحققين بن العلامة الحلي، حتى وُصِفَ بأنَّهُ «من أجلِّ تلامذة فخر المحققين، وقد عُرِفَ منذُ صِغَرِهِ بينَ زُملائه بالتَّفوُّقِ والذَّكاءِ وقُوَّةِ الذَّاكرة والاستيعاب للعلوم»[٦٣]، وأنه «ما فطن شيئًا ونسيه»، وفي الحلة كانت له مناظرات مع شريكه في الدرس عند فخر المحققين، وهو الشهيد الأول محمد بن مكي العامليّ (ت٧٨٦هـ / ١٣٨٤م)، وهذه المناظرات غالبًا ما تكون نهايتها لصالح ابن المتوج البحراني[٦٤].

لم تذكر المصادر التي ترجمت لهذه الشخصية تأريخًا محددًا يبين دخوله الحلة أو خروجه منها، ولكن يبدو أنّه غادرها مرّة أخرى إلى البحرين، ليتولى الزعامة الدينية هناك، إذ تلمذ عليه بعد عودته إلى بلاده عدد من طلبة العلوم الدينية، وتولى الأمور الحسبية والإفتاء والتدريس وعُرف عنه كتابة الشعر[٦٥]، والتقى يومًا في موسم الحج في مكة المشرفة بالشهيد الأول محمد بن مكي العاملي، وتناظرا حول آرائهما الفقهية والعلمية فغلبه الشهيد الأول؛ وسبب ذلك انشغاله بالأمور الحسبية[٦٦].

تُوُفِّيَ ابنُ المتوج البحرانيّ في البحرين سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م وقبره معروف فيها ويزار[٦٧].

٨. الحسن بن راشد الحلي البحراني (ت ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م):

الشيخ تاج الدين الحسن بن راشد الحلي البحراني[٦٨]، قال فيه الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)[٦٩] إنه «فاضل فقيه شاعر أديب»، وقال عبد الله الأفندي (ت ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م)[٧٠]: «وقد رأيت في استراباد من مؤلفاته كتاب مصباح المهتدين في أصول الدين... وكان تأريخ كتابتهِ سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، والحقُّ عندي اتحاده مع تاج الدين حسن بن راشد الحلي؛ لأن عصرهما متقارب والنسبة إلى الجد شائع»، وقال[٧١] أيضًا: «قد رأيت صورة خط الشيخ بن محمد بن راشد هذا في آخر كتاب المصباح الكبير للشيخ الطوسي... بلغت مقابلة نسخة صحيحة... في سابع عشر شهر شعبان المعظم عن مباحثة سنة ثلاثين وثمانمائة [١٤٢٦م]، كتبه الفقير إلى الله تعالى الحسن بن راشد».

غير أن السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ/ ١٩٥١م) يُشكك في بحرانيته[٧٢] فيقول: «هو حِلّي وليس ببحراني فيما كتبه إلينا صاحب (الذريعة) أنه رأى على ظهر بعض نسخ الجمانة البهية في نظم الألفية الشهيدية للمترجم أنها للحسن بن محمد بن راشد البحراني ولكن لا وثوق بذلك بعد تصريح ناظم الجمانة نفسه بأنه نظمها في الحلة السيفية كما يأتي عند ذكر مؤلفاته الدال على أنه حلي لا بحراني واحتمال بعضهم أن يكون بحرانيًا سكن الحلة لا يعول عليه، إذ لو كان كذلك لنص عليه المترجمون فقالوا البحراني الحلي، كما هي العادة، فما كتب على ظهر تلك النسخة الظاهرة أنه من سبق القلم».

ويرى الأمين أن الحسن بن محمد ابن راشد البحراني لا وجود له إنما الموجود هو الحسن بن راشد ابن صلاح الصيمري البحراني والد الشيخ مفلح الصيمري.

تلمذ الحسن بن راشد الحلي على يد أستاذه الفاضل المقداد السيوري الحلي (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)[٧٣]، فأصبح من أقرب تلاميذه إليه وأبرزهم، وذكر أنه قد أرّخ وفاة أستاذه الفاضل المقداد[٧٤]، كما أن أستاذه الفاضل المقداد قرّض له أرجوزة سمّاها: «الجمانة البهية»[٧٥].

عاصر المترجَمُ له مجموعةً من رجال الفكر والمعرفة ومن أهمهم: المقداد السيوري الحلي، والشيخ أحمد بن فهد الحلي، والشيخ زين الدين علي بن الحسن بن محمد بن صالح اللويزي (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، والشيخ علي بن يونس النباطي العاملي (ت ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)[٧٦].

نظم الشيخ الحسن بن راشد الحلي قصيدته «الجمانة البهية» ووجد مكتوب على بعض نسخها أنها :«للشيخ حسن بن محمد بن راشد البحراني»[٧٧]، وعن طريق هذه الكتابة لا يستبعد الطهراني[٧٨] كونه «بحرانيًا وانتقل إلى الحلة».

ويتضح في المصادر وجود شخصية أخرى باسم (الشيخ الحسين بن راشد البحراني) الذي قيل فيه إنه :«الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة الفاضل وحيد دهره وفريد عصره الشيخ ابن راشد البحراني... كان هذا العالم معاصرًا للعلامة الشيخ أحمد بن المتوج المعروف بالشيخ جمال الدين البحراني [ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م]»[٧٩]. وبهذا تأكد قول صاحب الذريعة بأنه من البحرين؛ لأن عصره قريب من عصر ابن المتوج البحراني، بل هو معاصر له.

وقد هاجر ابن راشد الحلي البحراني إلى النجف الأشرف[٨٠]،

بعد رحيل شيخه المقداد السيوري مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلاد، ويبدو أنه كان يتردد بين الحلة والنجف، فقد نظم في سنة ٨٢٥هـ قصيدته المُسمّاة بـ«الجمانة البهية»، وهي أرجوزة نظمها في الحلة وتحتوي على ٦٥٣ بيتًا في شرح ألفية الشهيد الأول وأرخ هذه الأرجوزة في مطلعها بقوله:

قال الفقير الحسن بن راشد
مبتدئًا باسم الإله الواحد
وهذه الرسالة الألفيّة
نظمتها في الحلة السيفية
في عام خمس بعد عشرين مضت
ثم ثمان من المئات انقضت
ست مئات وثلاث ضبطا
وبعدها خمسون تحكي سمطا[٨١]

ويبدو أنه أقام في كربلاء، إذ ذكر الأفندي[٨٢]: «قد رأيت صورة خط الشيخ حسن بن راشد هذا في آخر كتاب (المصباح الكبير) للشيخ الطوسي بهذه العبارة: وبلغتِ المقابلةُ بنسخة صحيحَةٍ بِخَطِّ الشيخِ عليّ بنِ أحمد الرميلي، وذكر أنه نقل نسخته تلك من خط علي بن محمد السكوني وقابلها بالمشهد المقدس الحائري الحسيني، وكان في سابع عشر شعبان المعظم عمّت ميامنه من سنة ثلاثين وثمانمائة كتبه الفقير إلى الله تعالى الحسن ابن راشد».

٩. مفلح بن الحسن الصيمري (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م):

هو الشيخ مفلح بن الحسين[٨٣] ابن راشد بن صلاح[٨٤] الصيمري[٨٥] ثم البحراني[٨٦]، وذكر أن اسم أبيه وجده هما الحسن بن رشيد، والمتداول هو الحسين بن راشد[٨٧].

والصيمر مدينتان ذكرتا بهذا الاسم؛ إحداهما في البصرة[٨٨]، والأخرى في البحرين[٨٩]، وقيل إن أصله من صيمر البصرة ثم انتقل إلى البحرين[٩٠].